

**قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}:  
بين التفسير المغلوط والتطبيق الخاطئ**

**د. محمد ديب العباس**

باحث ومحقق في مجال التراث

عضو هيئة تدريسية في جامعة طرابلس - لبنان

[abosarea1@gmail.com](mailto:abosarea1@gmail.com)

## ملخص

البحث يُبيّن العلاقة الحقيقية بين العلم والتقوى، ويجيب على تساؤل مهم هل بمجرد التقوى يكون العلم؟ أو هل تقتضي التقوى حصول العلم؟ كما يُظهر البحث الفهم المغلوط والتطبيق الخاطئ لآية {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٢] ومن ثمّ يوضّح التفسير والمعنى الصحيح للآية بالأدلة والبراهين.

## Abstract

The research shows the true relationship between knowledge and piety, and answers an important question: Is just the presence of piety enough to get knowledge? Or does piety require acquiring knowledge? The research also shows the misunderstanding and the wrong application of the verse {So be afraid of Allah, and Allah teaches you. And Allah is the All-Knower of each and everything.} [Al-Baqarah: 282] and then clarifies the interpretation and the correct meaning of the two verses with evidence.

## كلمات مفتاحية:

التقوى، العلم، تفسير، التفسير المغلوط، التطبيق الخاطئ، فهم.

## مقدمة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْأَمِينِ الْقَائِلِ «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعْلَمِ»<sup>(١)</sup> وبعد:

فإنَّ العلم والتقوى أمران عظيمان في ديننا: أمَّا العلم فمبنى هذا الدين عليه، فلا يمكننا أن نأخذ أمراً في ديننا أو نتبع داعياً إلا بما هو قائم على العلم، وهذا صريح ما طلبه ربنا منَّا قال الله تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: ٣٦]، كما أنَّه من المعلوم أنَّ أتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم على بصيرة في دينهم ودعوتهم إلى الله {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: ١٠٨].

و أمَّا التقوى فهي السلاح الأقوى والقضية العظمى، فهي وصية الله لجميع خلقه، ووصية رسوله الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بعث أميراً على سرية أو صاه في خاصَّة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، ولما خطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله فالتقوى وصية الله للأولين والآخرين {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: ١٣١] وبالجملة فالتقوى أساس الدين وعمدة السالكين وطريق النجاة للخلق أجمعين.

وأصلها: أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى، فكيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقى؟

ومن هنا كان العلم والتقوى هما الجناحان اللذان لا يمكن المسلم أن يصل إلى مرضاة الله وطاعته إلا بهما، وقد بيَّنت في هذا البحث العلاقة بين العلم والتقوى وأثر كل واحد منهما بالآخر، كما بيَّنت الفهم المغلوط لبعض جوانب العلاقة بين العلم والتقوى ثم ذكرت وجه الصواب في ذلك، هذا وأسأله تعالى أن يجعلنا من عباده المتقين وأن يلحقنا بالصالحين فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف.

(١) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم فقال وقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وقال إنما العلم بالتعلم، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٦١/١: هو حديث مرفوع أيضاً أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضاً بلفظ يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالفقه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين إسناده حسن إلا أن فيه مبهما اعتضد بمجيبه من وجه آخر، وروى البزار نحوه من حديث ابن مسعود موقوفاً ورواه أبو نعيم الأصبهاني مرفوعاً.

### خطة البحث:

يُعالج البحث علاقة التقوى بالعلم بين التفسير المغلوط والتطبيق الخاطئ،  
وينتظم ذلك في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة.  
المطلب الأول: مفهوم التقوى في الإسلام  
المطلب الثاني: العلاقة بين العلم والتقوى والعلم  
المطلب الثالث: الفهم المغلوط للآية وآثاره  
المطلب الرابع: الطريق الصحيح لتحصيل العلم

### أهداف الدراسة:

بيان حقيقة التقوى في الإسلام.  
الوقوف على طبيعة العلاقة بين التقوى والعلم  
التنبيه على الخطأ في تفسير العلاقة بين العلم والتقوى

### أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من خلال الآتي:  
عرض الخلل الحاصل في تفسير اقتضاء التقوى للعلم.  
نقد اتكاء بعض الناس على طلب التقوى من غير علم  
وجوب الجمع بين التقوى والعلم

### مشكلة الدراسة:

يحاول البحث الإجابة عن علاقة التقوى بالعلم، حيثُ يظهر الفهم المغلوط الذي يدّعي حصول العلم بمجرد التقوى، وما ينبني على ذلك من خطورة الكلام في الدين بغير علم، وتصدر الجهال. كما أنه يشير في الوقت ذاته إلى فريقٍ آخر متأثرٍ بالواقع الماديّ الذي لا يرى سوى العالم المادي المحسوس، ويرى الاكتفاء بهذا العلم وآثاره المشاهدة وربما فصله عمّا يحتاجه هذا العالم من إيمان وجانب أخلاقي وروحي.

## المطلب الأول: مفهوم التقوى:

التقوى في اللغة: بمعنى الاتقاء بأن تجعل بينك وبين الذي تخافه وقاية تفيك منه<sup>(٢)</sup>.  
وأما التقوى في الشرع فقد عرفها العلماء بتعريفات مختلفة وكل منهم يعبر عن جانب من جوانبها وحقيقتها.

ومن هذه التعاريف "العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً بفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر، وتصديقاً بموعده، وترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي، وخوفاً من وعيده"<sup>(٣)</sup>.  
وقال طلق بن حبيب: "العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله"<sup>(٤)</sup>

قال الذهبي: "أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفذ ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليمدح بتركها"<sup>(٥)</sup>

الخلاصة أنّ التقوى هي التي الضابط لجميع أعمال المسلم، الحاملة له على ابتغاء الأجر واجتناب ما لا يرضي الله عزّ وجل، بالإضافة إلى أنّ الجانب الأخرى عند المسلم لا انفكاك بينه وبين أعماله الدنيوية فهو يرجو ثواب الله ويخشى عقابه في كلّ أمر.

\*\*\*

٢( التعريفات للجرجاني ٦٥/١ .

٣( ابن قيم الجوزية، الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه (ص: ١٣).

٤( ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٩).

٥( الذهبي، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٦٠١).

## المطلب الثاني: العلاقة بين العلم والتقوى والعلم:

لا شك أن هناك علاقة متبادلة بين العلم والتقوى:

فمن آثار التقوى: أن الله تعالى يجعل للمتقين فرقاناً يفرقون به بين الحق والباطل، وبين البر والفاجر وهذا يشير إليه قوله تعالى: {يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال: ٢٩] أي يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم، بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لا يفتحها لغيره، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، لأن التقوى سبب لقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله، يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاث أحكام مثلاً، ويستطيع الآخر أن يستخرج أربعة، أو خمسة، أو عشرة، أو أكثر من هذا بحسب ما آتاه من الفهم. (١) قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: (إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه للخطيئة كان يعملها). (٢)

ومنها: أن الله تعالى - ييسر لطالب العلم الذي يطلبه للعمل به علوماً آخر ينتفع بها؛ فيكون طريقاً موصلاً إلى الجنة وإلى هذا يشير قوله تعالى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم: ٧٦]. وقوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: ١٧].

فمن التمس العلم ليتهدي به زاده الله هدى وعلوماً نافعة، توجب له أعمالاً صالحة وأحوالاً طيبة يرتقي بها إلى مرضاة الله والقرب منه سبحانه وتعالى.

ومنها: أن العلم يورث الخشية وهي تنتج التقوى وهي موجب الأفضلية والتكريم عند الله،

قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاهُمْ} [الحجرات: ١٣] (٣)

\*\*\*

(٦) ينظر شرح رياض الصالحين ١/٥١٩.

(٧) رواه الإمام أحمد في الزهد (٨٥١)، والدارمي في مسنده (٣٨٢)، والطبراني في الكبير قال الهيثمي في مجمع الزائد ١/١٩٩: أورجاله موثقون، إلا أن القاسم لم يسمع من جده..

(٨) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/٢٩٩.

### المطلب الثالث: الفهم المغلوط لآية {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} وآثاره:

اشتهر عند كثير من طلاب العلم أنّ التقوى تورث العلم، بل ذهب بعضهم إلى جعل التلازم بين العلم والتقوى تلازماً شرطياً، بمعنى: أنّ العلم هو نتيجة للتقوى، فمتى حدثت التقوى حدث العلم وترتّب عليها، ويستدلّ هؤلاء بعطف التقوى على العلم في قول الله تعالى في آخر آية المداينة من سورة البقرة: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢].

وبما ذكره بعض العلماء في تفسير هذه الآية.

يقول الإمام القرطبي: "وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّ مَنْ اتَّقَاهُ عَلَّمَهُ، أَي يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَفْهَمُ بِهِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ"<sup>(٩)</sup>.

ومن قبله قال ابن كثير: {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} كَقَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال: ٢٩]، وَكَقَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} [الحديد: ٢٨] <sup>(١٠)</sup>.

وقال الإمام الشوكاني: {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَفِيهِ الْوَعْدُ لِمَنْ اتَّقَاهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال: ٢٩] <sup>(١١)</sup>.

ونحن إذا تفحصنا هذا الفهم الذي ذهب إليه هؤلاء الأئمة من خلال الآية السابقة لا نرى أنهم بنوا ما استندوا إليه في اختيارهم لهذا المعنى اللّهمّ إلا أمرين:  
أولهما: اقتران جملة (واتقوا الله) مع جملة (ويعلمكم الله).

والثاني: أنهم اعتبروا أنّ القرآن يُفسِّرُ بعضه بعضاً فجعلوا آية {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} نظير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال: ٢٩].

وهذان السببان اللذان ذهب إليهما هؤلاء العلماء لا يخفى ضعفهما.

فوجه ضعف الأمر الأول: أنّ مجرد العطف لا يدلُّ على ترتّب الأمر الثاني على الأول، فلفظ الآية لا يدلُّ عليه؛ لأنّه لو كان كذلك لجزم (يعلمكم) في جواب (اتقوا)<sup>(١٢)</sup>، ومن قال هي في موضع نصبٍ على الحال من الفاعل في: وَاتَّقُوا، تَقْدِيرُهُ: وَاتَّقُوا اللَّهَ مَضْمُونًا لَكُمْ التَّعْلِيمِ وَالْهُدَايَةِ كما يقول أبو البقاء: وَبِجُورٍ أَنْ يَكُونَ حَالًا مُقَدَّرَةً<sup>(١٣)</sup>.

٩( تفسير القرطبي (٣/ ٤٠٦).

١٠( تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٧٢٧).

١١( فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٤٨).

١٢( تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٤٠).

١٣( البحر المحيط في التفسير (٢/ ٧٤٢).

فهذا القول قال عنه أبوحيان: ضَعِيفٌ جَدًّا، لِأَنَّ الْمُضَارِعَ الْوَاقِعَ حَالًا، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَائِ الْحَالِ إِلَّا فِيمَا شَدَّ مِنْ نَحْوِ: فُمْتُ وَأَصْنُكَ عَيْنُهُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ الْقُرْآنُ عَلَى الشُّذُودِ<sup>(١٤)</sup>.  
كما أنه من المعلوم أيضاً أن العطف يقتضي المغايرة؛ فذلك هما جملتان لكلٍ منهما وجهة، قال ابن القيم رحمه الله: "وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ بَلْ هُمَا جَمْلَتَانِ مُسْتَقْلَتَانِ طَلِبِيَّةٌ وَهِيَ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى، وَخَبْرِيَّةٌ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ أَي: وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ مَا تَتَّقُونَ وَلَيْسَتْ جَوَابًا لِلْأَمْرِ بِالتَّقْوَى وَلَوْ أُرِيدَ بِهَا الْجَزَاءُ لَأْتَى بِهَا مُجْرُومَةٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الْوَاوِ فَكَانَ يَقُولُ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ أَوْ إِنْ تَتَّقُوهُ يَعْلَمُكُمْ كَمَا قَالَ: إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا"<sup>(١٥)</sup>.

\*\*\*

### تفسير الآية على المعنى الصحيح الذي أشرنا إليه:

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي في ترك الضرر أو في جميع أوامره ونواهيه، {وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ} شرائع دينه {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} لا يلحقه سهو ولا قصور<sup>(١٦)</sup> أو المعنى {وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ} أحكامه المتضمنة لمصالحكم.

قال الفخر الرازي: {واتقوا الله} يعني فيما حذر منه هاهنا، وهو المضارة، أو يكون عاماً، والمعنى: اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه.

ثم قال: (ويعلمكم الله) والمعنى: أنه يعلمكم ما يكون إرشاداً واحتياطاً في أمر الدنيا، كما يعلمكم ما يكون إرشاداً في أمر الدين {والله بكل شيء عليم} إشارة إلى كونه سبحانه وتعالى عالماً بجميع مصالح الدنيا والآخرة<sup>(١٧)</sup>.

أما بالنسبة للأمر الثاني: وقولهم إن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فهي قاعدة صحيحة في العموم، لكنها في هذا الموضع لا تنطبق على هذه الآية وما نُظِّرت به، فبينهما اختلاف في الصياغة والسياق والمعنى:

أما من حيث الصياغة؛ فقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} هو شرطٌ وجوابٌ ظاهرٌ بغضِّ النظر عن الاختلاف، في تفسير معنى الفرقان.

قال أبو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إن تتقوا الله

(١٤) البحر المحيط في التفسير (٢/٧٤٢).

(١٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/١٧٢).

(١٦) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٢٣٠).

(١٧) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/٩٩).



بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم= يجعل لكم فرقاناً"، يقول: يجعل لكم فصلاً وفرقاً بين حقكم وباطل ممن يبيغكم السوء من أعدائكم المشركين، بنصره إياكم عليهم، وإعطائكم الظفر بهم<sup>(١٨)</sup>. وأما الآية التي نحن بصددنا فلا يظهر فيها هذا الربط.

و أما من حيث السياق؛ فإن آية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} آية كاملة مُستقلة بنفسها، مُتناسقة الدلالة، جاءت ببناء مبتدأ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} وإن كان لها ارتباط بما قبلها من الآيات كما أشار لذلك بعض المفسرين، فإن هذا الارتباط لا يُشوّش على معنى الآية ودلالاتها، يقول الله تعالى في الآيتين اللتين قبلها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٢٧، ٢٨].

يقول الخطيب الشربيني: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ} أي: بالأمانة وغيرها {يجعل لكم فرقاناً} أي: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل<sup>(١٩)</sup>.

والآية قد تشمل أعم مما كان قبلها فإن من تقوى الله حفظ الأمانة وكذلك الحذر من فتنة المال والأولاد، قال الفخر الرازي: واعلم أنه تعالى لما حذر عن الفتنة بالأموال والأولاد، رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد<sup>(٢٠)</sup>.

أما الآية التي نحن بصددنا {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فهي جزء من آية المدائنة التي هي أطول أي القرآن، وجاءت خاتمة لها، فهي أخرى أن تكون مرتبطة بالآية ومعانيها وما سبقت من أجله كما بيّنت القول في تفسيرها آنفاً.

أما بالنسبة للمعنى: قال الماوردي: قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} فيه أربعة تأويلات: أحدها: معنى فرقاناً أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، قاله ابن زيد وابن إسحاق. والثاني: يعني مخرجاً في الدنيا والآخرة، قاله مجاهد. والثالث: يعني نجاة، قاله السدي. والرابع: فتحاً ونصراً، قاله الفراء. ويحتمل خامساً: يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة<sup>(٢١)</sup>.

١٨) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (١٣/ ٤٨٧).

١٩) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٥٦٦).

٢٠) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤٧٦).

٢١) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٣١١).

فأين هذا المعنى الواضح على اختلاف تأويلاته مما نحن فيه من قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} فالآية حسب ما فهم بعضهم من أن التقوى تُنتج العلم، وأنه متى حصلت التقوى كان العلم فهذا معنى يصعبُ قبوله للأسباب التي سأذكرها.

### الآثار التي تترتب على هذه القضية:

الحقيقة أن الخطورة في القضية التي نعالجها في هذا البحث ليس بمجرد الاستدلال مع ضعفه الذي بيّناه، ولكن تكمن الخطورة فيما بني على هذا الفهم والتفسير من أفكار سلبية عند جمهور عريض من المسلمين ونتائج خاطئة وكارثية في واقعهم أدت إلى تهاونهم في شأن العلم وفي تحصيل أسبابه وأدت إلى تصدّر الجاهلين أحياناً بحجة أن القضية لا تتعلق بالعلم فيدع طلب العلم، ويعتقد أن العلم يأتيه بلا طلب مع أن الزهاد والعبّاد وجميع العباد هم تبع للعلماء ولا عكس. ومن آثار ذلك أيضاً: ما سمعناه من بعضهم أن قليل العلم مع التقوى يكفي، ولذلك عزّف كثير من الناس عن التبحر بالعلم بسبب توجهات من قبل من ظنّ هذا الترابط والعلاقة بين العلم والتقوى بالمعنى الذي ذكرته آنفاً مع أن سيد المتقين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علّمه ربه أن يدعو {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤].

يقول الإمام النووي موضحاً أسباب تفضيل العلم على نوافل العبادة التي هي ولا شك من أهم وسائل تحصيل التقوى: والحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن: ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين والنوافل المذكورة مختصة به ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس: ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك: ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاعته ولا ينعكس (٢٢).

### المطلب الرابع: الطريق الصحيح لتحصيل العلم:

وإذا تساءلنا بعد ذلك، ما هو الطريق لتحصيل العلم؟ فالجواب أن طريق العلم هو التعلُّم وتحصيل أسبابه، وهذا له أدلة كثيرة منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ) (٢٣) وهو حديثٌ ثابتٌ ذكره البخاري تعليقاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ ابن حجر: (وإنَّما جزم به مع أن فيه رَوايَاً مُبْهِمًا لمجيئه من طريق أُخْرَى) (٢٤) ولا يخفى وجه الدلالة القوي من الحديث وهو أسلوب الحصر.

وأيضاً من الأدلة: حديث «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً: سهَّل اللهُ له طريقاً إلى الجنة» (٢٥). أخرجه الترمذي.

وفي رواية أبي داود: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْأَلُكَ طَرِيقًا -يعني-: يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، إِلَّا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ: لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبُهُ» (٢٦) ومن الأدلة ما ترجم به شيخ المحدثين الإمام البخاري في صحيحه: باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {فَاعَلِّمْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ} [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ وَافِرٍ، وَمَنْ سَأَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨] وَقَالَ: {وَمَا يَعْقُبُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣] {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)} [الملك: ١٠] وَقَالَ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]. وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" و: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ" (٢٧).

وقد يقول قائل هذا: لاشك فيه ونحن نقول إن التعلُّم هو طريق للعلم ولكن ليس هو الطريق الوحيد وقد يكون ذلك بطريق أخرى وهي التقوى؟

والجواب: لا يوجد دليل قوي نستطيع أن نعتمد عليه في إثبات هذا الطريق وقد ذكرنا فيما مضى ما يتعلق بذلك، وحتى نكون أكثر دقة فإن الذي نتحدث عنه هو عموم العلوم التي يراد تحصيلها ولا نقصد بذلك العلم اللدني: وهو العلم الذي يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده المتقين

(٢٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

(٢٤) تعليق التعليق (٢/ ٧٨).

(٢٥) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، رقم الحديث: ٢٦٤٦.

(٢٦) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم.

(٢٧) فتح الباري: ١/ ١٥٩.

وهو المشار إليه بقوله تعالى {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: ٦٥] فهذا محض إكرام من الله تعالى خارج عن القاعدة العامة ولذلك يسميه بعضهم علم وهبي.

وأما ما نحن بصددده فهو العلم الكسبي الذي يُطلب من كلِّ أحد تحصيله بتعاطي أسبابه. وأيضاً لا ننسى ما قدمته أن للتقوى أثراً في العلم فإن التقوى سبب لقوة الفهم ويحصل بها زيادة العلم ولكن لا تكون التقوى سبب تحصيل العلم وطريقه.

وأما الدليل من الواقع وعملياً فإن كثيراً من أهل التقوى في القديم والحديث لم يحصلوا العلم مع تقواهم، ولو فرضنا أن إنساناً من أتقى الأتقياء وهو لم يتعلم أحكام الفرائض وأنصبه المواريث وموانع الإرث ومعنى العول والرد وأحب أن يصبح عالماً بالفرائض هل يصبح عالماً؟ وقل مثل ذلك في علم الفلك والرياضيات والأصول والحديث وغير ذلك من العلوم.

ومن الأمثلة التي توضح ما ذكرنا:

ما رواه مسلم بسنده في مقدمة صحيحه عن يحيى بن سعيد القطان «لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث» قال الإمام مسلم يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمدون الكذب (٢٨).

وقال الإمام النووي في تعليقه ذلك: لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث فيقع الخطأ في رواياتهم ولا يعرفونه (٢٩).

أما الحديث المتداول (من عمل بما علم ورثه الله علم ما يعلم) فإنه حديث لم يثبت. ذكره الغزالي في الإحياء وقال عنه الحافظ العراقي: «خرجه أبو نعيم في الحلية وضعفه»

اهـ.

فمع أن أبا نعيم قال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع هذا الإسناد عليه؛ لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل اهـ (٣٠).

قال السخاوي في شرح الألفية عند الكلام على حديث: "من كثرت صلاته بالليل": ما نصه: والظاهر أنهم توهموه حديثاً، وحملهم الشره ومحبة الظهور على ادعاء سماعه، وهم صنف من الوضّاعين، كما وقع لبعضهم حين سمع الإمام أحمد يذكر عن بعض التابعين ما نسبته لعيسى عليه

(٢٨) صحيح مسلم، باب الكشف عن معانيب رواية الحديث ونقله الأخبار، (١٧/١).

(٢٩) شرح النووي على مسلم (٩٤/١).

(٣٠) اتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤٠٣/١).

السلام: "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم"، فتوهمه كما ذكره أبو نعيم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع له عن الإمام أحمد سنداً وجملة الإمام تنبو عن هذا اهـ.

قال ابن عبد البر<sup>(٣١)</sup>: أَخْبَرَنَا خَلْفُ بْنُ الْقَاسِمِ، أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيْقِ أَبُو مُحَمَّدٍ بِمِصْرَ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَمُوثُ بْنُ الْمُزْرَعِ قَالَ: أَنْشَدَنَا عَمْرُو بْنُ الْجَاحِظِ لِصَالِحِ بْنِ جَنَاحٍ فِي الْعِلْمِ:

تَعَلَّمَ إِذَا مَا كُنْتَ لَيْسَ بِعَالِمٍ      فَمَا الْعِلْمُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ التَّعَلُّمِ  
تَعَلَّمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ      وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ تُعَلِّمْ

[البحر الطويل]

(٣١) جامع بيان العلم وفضله (١٤٦/١).

### الخاتمة

وفي الختام حتى لا يفهم الكلام الذي تقدّم في البحث بشكل خاطئ؛ فأنا لا أنكر أنّ للتقوى أثراً في العلم وهو أثرٌ عظيم ولاشك ، وقد أوضحت ذلك في بداية البحث بشكلٍ جليّ، ولكن الذي أنكره هو فكرة أن تكون التقوى بحدّ ذاتها مُنتجةً للعلم دون الحاجة إلى تعاطي أسبابه ، وقد بيّن ابن تيمية خلاصة هذه المسألة فقال : وَقَدْ شَاعَ فِي لِسَانِ الْعَامَّةِ أَنَّ قَوْلَهُ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} مِنْ الْبَابِ الْأَوَّلِ؛ حَيْثُ يَسْتَدِلُّونَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ التَّقْوَى سَبَبٌ تَعْلِيمِ اللَّهِ، وَأَكْثَرُ الْفَضَلَاءِ يَطْعُنُونَ فِي هَذِهِ الدَّلَالَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْبُطِ الْفِعْلَ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ رَبْطَ الْجَزَاءِ بِالشَّرْطِ فَلَمْ يَقُلْ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ وَلَا قَالَ فَيُعَلِّمُكُمْ.....) (٣٢)

وأجاد أبو حيان رحمه الله في بيان آثار هذا الفهم المغلوط في واقعنا: وقيل: معنى الآية الوعد، فإن من اتقى علمه الله، وكثيراً ما يتمثل بهذه بعض المتطوعة من الصوفية الذين يتجافون عن الاشتغال بعلوم الشريعة، من الفقه وغيره، إذا ذكر له العلم، والاشتغال به، قالوا: قال الله: واتقوا الله ويعلمكم الله، ومن أين تعرف التقوى؟ وهل تعرف إلا بالعلم (٣٣)

هذا وما أردته من الكتابة في هذا الموضوع هو النصيحة لنفسي أولاً ولعامة المسلمين وخاصتهم ثانياً وأن يكون العلم منطلقنا ومرجعنا والفهم الصحيح رائدنا وموجهنا وتقوى الله غايتنا وهدفنا، والحمد لله أولاً وآخراً.

\*\*\*

(٣٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧٤/٢٩.

(٣٣) البحر المحيظ في التفسير (٧٤٢ / ٢).

## المصادر والمراجع

١. ابن تيمية، تقي الدين بن تيمية ت (٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد ١٩٩٥، الطبعة: بدون.
٢. ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزري الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل-تفسير ابن جزري، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٣. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تعليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.
٤. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
٥. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.
٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية – بيروت.
٧. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٨. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الرسالة التبوكية، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة.
٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٠. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
١١. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة: بدون.
١٢. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد وآخرون. الطبعة الأولى. مؤسسة الرسالة.
١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦) الجامع المسند الصحيح - صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ترقيم فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
١٤. الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر- فؤاد عبد الباقي- إبراهيم عطوة عوض. ٥ أجزاء. الطبعة الثانية. مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
١٥. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٦. الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
١٧. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٨. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.



١٩. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٠. الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي بيروت- لبنان، ١٤١٤/٥١٩٩٤م.
٢١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٢٢. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٣. القرطبي، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٢٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٢٥. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر - صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٦. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٧. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، دار الفكر.
٢٨. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٢٩. الهروي، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري  
(المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت – لبنان،  
الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.